

قصر الاخضر ورأى العلامة الألويسى فيه .

L'Okheïdhir, ou un château fort du limès mésopotamien.

٦ ماهو قصر الاخضر

على بعد ثيف وخسين كيلومتراً من غربى كربلاء ، او على بعد ١٠٠ كيلومتر من غربى الفرات ، قصر فخم ضخم قائم احسن قيام على أسسه المنيئة المكيئة ، يسميه العراقيون : « الاخضر » ، مصغر الاخضر ، وهو ذو طيقتين يبلغ طوله ٣٠٠ متر .

و اول افرنجى زار هذا القصر زيارة تذكر هو الرحالة نيبهر (١) ، ثم زاره بعض سياح الانكليز الا انهم لم يكتبوا عنه شيئاً يستحق التنويه به ، وفي سنة ١٩٠٨ ، تمهده الشاب الذكى ، والمستشرق اللوذجى ، صديقنا لويس ماسنيون ، فكتب عنه فى عدة مواطن من المجلات ، من جملتها فى « نشرة مشارفة » مجالس ندوة العلماء للرقم وعلوم الادب (٢) ، وفى « المذكرات التى ينشرها اعضاء دارالعلوم الفرنسوية الآمار الشرقية » المقامة فى مصر القاهرة ، تحت ادارة المسيو أ . شاسينا ، ثم زارته ، بعد بضعة اشهر من تلك السنة ، الآبسة الانكليزية ج . ل . بل (G. L. Bell) ووصفته وصفا مدققاً فى كتابها « مراد الى مراد » وبالانكليزية Amurath to Amurath ثم زاره الاديب الفرنسوى فيوله فى شهر آب من سنة ١٩١٠ ، وكتب عنه مقالاً تفيداً قدمه الى الاديب ديولانوا .

(١) كارستنس نيبهر رحالة ديمركى اوله فى لودن فورث ومن اعمال لاوتبرغ سنة ١٧٣٣ وتوفى سنة ١٨١٥ وقد نبه ذكره برحلته الى ديار العرب ، وكان معه فورسكال وكرامر و يوزنفيد وفان هافن . ودامت تلك الشقة ست سنين . وعند تقوله الى بلاده عين مدير مذهب ، وكان من المشتركين الاجانب فى دارالعلم فى فرنسا . وقد ابقى لنا تأليفين مهمين هما : وصف بلاد العرب وقد طبع فى كوينياخ سنة ١٧٧٢ ورحلة الى بلاد العرب وقد طبع سنة ١٧٧٤ — ٧٨ . وقد نقل الى الفرنسوية وطبع سنة ١٧٧٣ و١٧٧٦ . وقد كتب ترجمة نيبهر ابنه جورج وهو من مشاهير اللوذجين .

(٢) Louis Massignon - Le Château d'al - Okhaider. - Extrait des comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions Belles - Lettres , 1909 . p 202 et Seq.

٢٠ عصر بناء القصر وبانيه

اختلف العلماء كل الاختلاف في اسم هذا القصر، وفي بانيه الاول، وفي القرن الذى بنى فيه . قال مهندس الاثرى الاديب ديولافوا Mr. Dieulafoy يذهب الى ان هذا القصر يرتقى الى الربع الاخير من القرن السادس للميلاد ، اى قبيل العصر الاسلامى . والذى يحدوه الى هذا الرأى هو قوله : « ان الريازة (فن البناء) وفق تزويق الابنية كانا قد بلقا اوج الكمال ، منذ عصر سامرآء ، ومن ثم يتضح ان كل بناء عظيم لا ترى فيه الريازة الا فى نسبتها او فى نشوتها ، فهو على الاربع سابق الاسلام كقصر الاخضر فى العراق . »

اما الآنسة « بل » ، فانها لا ترى هذا الرأى ، بل تذهب الى ان هذا القصر اقيم فى الصدر الاول الاسلام .

ووافقها على هذا الفكر الاديب فيوله المذكور ، وهو اليوم راس مهندسى الولاية ، قال : « لقد تحققت كل التحقق ان هذا القصر اسلامى كل الاسلام ، وهذا ما يظهر من الاساليب والذرائع المتخذة لتشييده . وقد زاد يقينى هذا كل الزيادة ، لما نبشت فى الارض نبشاً زهيداً بواسطة المولى ، وللحال وقعت على محراب فى وسط الحائط الجنوبى وهو حائط بهو عظيم ، سمته الآنسة « بل » (وقد صدقت تسميتها) بالمسجد . ولو فرضنا اننا لم نعر على هذا المحراب ، فان استقرامات الاديب ديولافوا ، لا تفضى الى نتيجة تؤيد ان قصر الاخضر هو غير اسلامى ، ولو انه تفرغ كل التفرغ لانعام النظر فى البحث الذى انشأه فى هذا الصدد . لان الريازة وفق تزويق البناء عند المسلمين ، لم يبلقا طور الكمال فى سامرآء ، بل كانا فى حال التكون بامتزاج امشاج اطراز الابنية المختلفة التى تآصرت فيما بينها وتآخت . وهذا الامر من اثبت الامور ، لان التشابك entrelaces لم يكن له بعد وجود عندهم . ولو فرضنا ان طرز البناء الاسلامى بلغ قراره فى سامرآء ، فهذا لا يدل على ما يبين لى ، ان الاخضر يستند الى العصر السابق للإسلام ، لان تراويقه البنائية هى فى غاية النشوء ، وهى فيه بعد كالجنيين فى رجم امه . نعم قد يعتمد ان غاشية الجص التى كانت تغطى دواخل الحيطان تزيناها ، قد سقطت عنها على تراخي استار الايام على هذا القصر

الشيء البناء ، لكن قد يمتثل ايضا انها لم تكن ، لسبب ان هذا القصر قد بنى ، على ما يظهر ، بناءً حديثاً ليكون مصيفاً لصاحبه ، لان مواد بنائه رديئة (وهي احجار وحصى او جنادل مفرقة في ملاط) فيكون هذا البناء من الجنس المعروف باسمه حشو الاشكنج (١) Bloville ، ولا يمتثل ان يكون مقاماً مزيناً بتأويق البناء ، كما هو الامر في قصور الخلفاء من قصور سامراء او بغداد . اه . كلام الاديب في قوله .

واما الاديب لويس ماسنيون ، فانه لم يبت امرأ في ما يتعلق بانيه ، وعهد بنائه ، بل يميل الى القول بان هذا القصر ان لم يكن الخورنق او السدير ، فلا يبعد من ان يكون القصر ، ذا الشرفات من سداد ، الذي يقول فيه الأسود بن يعفر :

ماذا اومل بعد آل محرق تركوا منازلهم ويمد ايد
اهل الخورنق والسدير . وبارق والقصر ذي الشرفات من سداد

واما استاذنا ، حضرة الشيخ العلامة السيد محمود شكرى افندي الاتوبي ، فانه يذهب الى ان هذا البناء شيد في صدر الاسلام ، في عهد عمر بن الخطاب في نحو سنة ٦٣٥ للمسيح ، اي في السنة الثانية من خلافة عمر وقد بناه اكيدر الملك السكوني الكندي ، فسمى باسمه ، ثم تحفته العوام هذه الكلمة بان جعلوا الكاف (٢) ، شاءً والدال خادماً (٣) كما هو معروف في لسانهم فقالوا فيه : قصر الاخضر ، وانما هو قصر الاكيدر .

ومما يثبت هذا الرأي ما ذكره ياقوت في معجمه ، قال في مادة دومه الخندل :

(١) الاشكنج عند اهل العراق سفار الاجر والخجارة او كسر ما يتخذها البنائون حشواً للبناء ولما فيه من الفراغ ويتخذ ايضا لرسف الطرق وفوازيرها . والكفة قديمه في العراق فارسية الاصل ، وقد استعملها الجاحظ في كتاباته ومنها في كتاب البغلاء من ١٢١ في قوله : وما كان من اشكنج فهو مجموع لبناء : اه وبسمى الشاميون الاشكنج بالديس فيفتح فسكون . (لغة العرب)

(٢) مثل الحبن من تربك واكبن (المزهر : ١ : ٢٢٧) والكذب والحذب (اللغويون)

(٣) مثل شفيق شديد . وناهض وناهد . والدرس والضرس . (اللغويون)

« ان النبي (صلعم) صالح الأکیدر على دومه ، وامنه ، وقرده عليه ، وعلى اهله الجزية ، وكان نصرانياً ، فسلم اخوه حربث فاقره النبي (صلعم) على ما في يده ، ونقض الأکیدر الصلح بعد النبي (صلعم) فاجلاه عمر (رضه) من دومه ، في من اجلى من مخالفي دين الاسلام الى الحيرة ، فنزل في موضع منها قارب عين النمر ، وبني به منازل وسماها : « دومه » . وقيل « دوماه » باسم حصنه بوادي القرى ، فهو قائم يعرف ، الا انه خراب . . اه .

فقصر الأکیدر اذاً هو بناء نصراني بناه صاحبه على مجلة بعد ان اجلى عن حصنه بوادي القرى . وهو قريب من عين النمر وليس حصن هناك قريباً من هذه المدينة قرب قصر الأکیدر منها .

واما وجود المحراب في حائط الجنوب ، فيمل بان المسلمين الذين احتلوا القصر بعد صاحبه ، قاموا فيه محرراً ، قياً بشعائر الدين ، كما هي عادتهم في قصورهم وحصونهم الكبيرة ولا سيما اذا بنيت بعيدة عن جامع او مسجد ، كما هو الامر في بادية مثل هذه البادية التي شيد فيها قصر الأخيضر او الأکیدر .

٣ سبب تسمية هذا القصر بالأخيضر

قدم بك ان الأخيضر سمي كذلك من تصحيف العوام للفظه الأکیدر ليس الا . واما الذين لم يتفوا على هذه الحقيقة المقررة ، فقد ذهبوا في هذه اللفظة ومناسبتها لهذا الحصن مذاهب شتى ، منها :

أ : انما سمي كذلك ، لان الأخيضر تصغير الاخضر ، وقد اتت الخضرة من عين هناك يبض منها الماء ، ايضاً ، فبنت حول القصر عشب ، يحسن منظر القصر في عين الزائر ، او تنمو في فصل الامطار خضرة على حيطانه القديمة ، فيظلمر كأنه ليس ثوباً من سدس او استبرق . - وقيل : لان ارض الحصن خصبة والحصب ينبت بالأخضر ، لان الخضرة هي من اسباب الحصب . ومنه قول العرب : « هم خضر المناكب » اي في حصب عظيم . ومنه : « هم خضر المربع » . ومنه قول الشيخ صفي الدين الحلبي :

انما لقوم ايت اخلاقنا شرفاً
يبض صنائنا سود وقائنا
ان نبدي بالأذى من ليس يؤذينا
خضر مرايمنا هم مواضينا

— وقيل : اُسمى بالاخضر لان هناك ذباباً يعرف بهذا الاسم وهو يكثر فيه في ايام الربيع وهو يتدر الذهب الاسود المتوسط الكبر ، وقد يؤذى الدواب والناس .

٢ . ذهب بعضهم الى ان اصل هذه التسمية (تسمية الاخضر) ، ترتق الى سنة ٣١٠ . وذلك ان ابن سيرين ذكر في تاريخه قال : وفيها (اى في سنة ٣١٠ هـ - ٢٩٢٢ م) انتقل اهل قران من اليمامة الى البصرة لحيف لحقهم من ابن الاخضر في مقاسماتهم وجذب ارضهم ، فلما انتهى امرهم الى اهل البصرة سعى ابو الحسن احمد بن الحسين بن المتقى في مال جمعه لهم ففروا به على الشخوص الى البصرة ، فدخلوا على حال سيئة ، فامر لهم سبك امير البصرة ، بكسوة ونزلوا بالسامعة بحلقها . . . اه .

وقال المسعودى في كتابه التبيين والاشراف ص ٣٨١ بخصوص الاخضر ما هذا نصه :

... ثم سيره (مسير ابي طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي ، صاحب البحرين ، في سنة ٣١٣ هـ - ٩٢٥ م) عن الكوفة الى الاحساء بالذرية والثقله وتلميحه البلد الى اسماعيل بن يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بالخبز الاخضر ، صاحب اليمامة ، ابن ابراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب ومسير ابي القاسم يوسف بن ابي الساج عن واسط في عسكرة للقائه ، وكان السلطان اشخصه عما كان يليه من الاعمال من بلاد آذربيجان ، وارمينية ، واران ، واليلقان ، وغيرها ، ليستعد من واسط ، وينفذ الى بلاد البحرين ، وكان مقيماً بواسط مستعداً ، الى ان جاء الخبر بمسير صاحب البحرين الى الكوفة ، فخرج مبادراً له قسيقه ابوطاهر اليها ، ونزل الموضع المعروف بالخورنق وحازها ، ونزل ابن ابي الساج في اليوم الثاني بالقرب منه ، في الموضع المعروف بين النهرين ، مما على القرية المعروفة بـ بحروراء ، ، والها اضيفت والحورية ، ومن الحسوارج ، وابوطاهر بينه وبين الكوفة ، فكانت الوقعة بينهم يوم السبت لتسع خلون من شوال سنة ٣١٥ هـ (اى في ١٩ من سنة ٩٢٧ م) . اه المقصود من ايراده .
وعليه فالمراد بالخبز ، الخورنق . وسمى الخورنق بالخبز لانه نزل

فيه فاضيف اليه منذ ذاك اليوم، وخلق اسم الخورتق الفارسي الاصل، التثقيل على لسان العربي .

٣ . وقال المستشرق الاديب لويس ماسنيون : « وهناك رجم آخر وهو غير محتمل لما بين اللفظين من البعد (١) انه الاخضر مأخوذ من «الأكيدر»، صاحب دومة الجندل الكندي الذي ارتد الى النصرانية (٢) بعد وفاة النبي، وكان لهذا الملك حصان : الواحد في دومة الحيرة (وهو في الواقع قريب من عين التمر)، والآخر في دومة الجندل ، وقد ذكره ياقوت (في ٢ : ٦٢٦) في قوله: وفي داخل السور حصن منيع يقال له مارد وهو حصن أكيدر، الا ان هذا الرأي هو رجم محض ، وموقع دومة الجندل على بعد اربع ليال من تيماء بين المدينة والشام ؟ يجعل هذا الرأي بعيد التمسك به لاسيا القول بأنه قصر دومة الجندل . اه كلامه .

قلنا : نعم ، ان القول بان حصن الأكيدر هو الذي كان له في دومة الجندل من وادي القرى بعيد الاحتمال ، لكن القول بأنه الحصن الذي كان له في دومة الحيرة قريب ، ولا قرب حبل الوريد . كيف لا وقد قال عنه ياقوت انه قرب عين التمر وهو قائم يعرف الا انه خراب . وهو كلام يصدق على الاخضر الى يومنا هذا .

٤ . ذهب بعض الادباء الى ان الاخضر هو ترجمة لفظه «السدبر القديمة» لان هذه الكلمة تعني المشب وكذلك الاخضر ، وربما كان هذان الحرفان متساويين منذ البدء، ثم نقل الواحد الآخر اسمولة حفظه، وقرب معناه من الافهام، ولاشك ان معنى السدبر للقصر النعماني المشهور هو بالفارسية ذوالبيوت الثلاثة (سدبر) ؛ الا ان العرب تركوا المعنى الاجنبي، وتمسكوا بالمعنى العربي حبساً

(١) قد صرح بك ان تقارب هذين اللفظين غير بعيد في العربية، والتصنيف يمكن، بل ظاهره، لان اعراب البادية لا يفهمون معنى الأكيدر بخلاف الاخضر فإنه اوضح معنى لهم، ولهذا صنفوه -

(٢) لم يتفق المؤرخون على اسلام الأكيدر فمنهم من انكروه ومنهم من اذبحه . وعلى كل حال، فان كان قد اسلم فقد ارتد بعد ذلك الى النصرانية .

بلقنهم، ومما فيها وكراً للماجم . ونحن نرى ان هذا الرأي قطري ، بل في منتهى القطر .

وهناك غير هذه الآراء ، وكلها فائلة ، وقد اجتزأنا بما ذكرناه لشهرتها ، ولعرضها على القراء الكرام .

٤ - موقع قصر الاكيدر الحربي والسياسي

قال صديقتنا الفاضلة لويس ماسديون في كتابه : « بنته » في العراق ، ص

٢ ما هذا تعريبه : « ان موقع الاخضر من احسن المواقع ، واجلها لبناء حصن هناك .

و ذلك لانه في وسط نوع من الحلقة عظيمة القطر ، يحفظها الفرات خطأ بديعاً ، على ابعاد متناسبة ، متساوية ، او تكاد تكون كذلك ، من هيت ، والانبار ، واطلج ، والحيرة ، فوقه اذ آمن اجل المواقع الخربية ، فهو يحافظ احسن المحافظة على سقع واقع على نهر البادية ، وكان مسقياً احسن السقي ، لان الاقدمين كانوا قد حفروا في ارضه انهاراً ، تأتينا من الفرات ، وتخرقها خرقاً كما يشق اليوم نهر الحسينية جوار كربلاء ، منذ القرن العاشر قريباً من رزازة . وهناك كان ايضاً بطائح تأتي مياهها من الفرات وتدفغ فيها وفي البادية بعد ان تسقي الاراضي المزروعة ، ولهذا كان يطوف بها الادغال والآجام الكثيرة الطير والصيد (وهذه ايضاً احدونه ما يروى عن الخورنق وكان ملتحق الصيادين وموعدهم) .

« والى اليوم ترى آثار الزراعة ، وبها عميق النهر القديم الجامع بين

هيت والابله ، وهي ظاهرة كل الظهور بين كربلاء والاخضر .

وماعدا ذلك كان يمكن لاحباب ذلك القصر او الحصن المنيع ان يقبضوا على

الدار وقطاع الطرق الذين يأتون من ديار نجد او من انحاء بلاد الشام ، قبل ان

يتوغلوا في الارضين المزروعة او العاصرة ويعيشوا فيها . « ام كلام صديقتنا .

٥ - موقعه السياسي الحالي .

والاخضر هو منتهى قيم مقامية رزازة ، الراجع امرها الى قهد بك ، من

المنزة ، و آخر حدود مديرية شقانا (التي يسميها البعض شامة والبعض الآخر

من الترك او من المتراكين شقافية والاصح ما اوردها كاوردت في باقوت في مادة

عن القمر ٣ : ٧٥٩) . ويزعم فهد بك ان هذا القصر له . ومدير شفاهاة قد استخض عين الماء المجاورة له ، وهي العين الوحيدة الموجودة في تلك الانحاء ، والتي يخلو ماؤها من مادة كبريتية . (عن المذكور ص ٢)

نقد كتاب تاريخ آداب اللغة العربية

لجرجي افندي زيدان صاحب مجلة الهلال . (تلو)

Observations critiques sur l'Histoire de la Littérature arabe

de M. Georges Zeidân

٢ . اوله في الآراء .

في تأليف جرجي افندي زيدان ، من انزيا الخاصة به ، مالا تكاد تراه في غيرها . ومن جملة هذه المحاسن انه يبيّن لك موضوع الفصل التالي للفصل الذي تطلعه ، حتى انك تقول في نفسك : « هذا لا بد منه » . وعلى هذا الوجه تتصل الفصول وتأخذ بعضها برقاب بعض حتى تقضي العجب من هذا التداخل العجيب والانتحام البديع . وكثيراً ما اتفق لي اني بدأت بتصفح كتاب من كتبه ، فلم اقدر ان اقيه من يدي الى ان آيت على اخره . كأن الكتاب اصبح شيئاً من ضرار حياتي في ذلك النهار ولم يمكني ان استغني عنه .

ومهما يمكن من العجائب بالمواقف ، وشغقي بمطالعة اسفاره ، فاني ارى فيها بعض الامور التي كنت اود ان تكون منزهة عنها . ومن جملة هذه الشوائب انتقاله من وهم الى حقيقة ، ومن حقيقة الى وهم ، بعد ادماج عبارة يوم هذا الانتقال اسم الابهام ، مثال ذلك : انه قال في الصفحة الاولى من مقدمته (وهي ص ٣ من الكتاب) ما هذا نصه بحرفه :

« اما العرب فاشتهور اسم لم يؤاؤفوا في تاريخ آداب لسانهم . والحقيقة اهم اسبق الائم الى التأليف في هذا الموضوع مثل سبقهم في غيره من المواضيع (كذا) . ثم انما ان يؤيد هذا الرأي بدليل تاريخي نقلي صريح ، ففصل في فان في تراجم الرجال كثيراً من هذا التاريخ لانهم يشغفون الترجمة بما خلفه المترجم من الكتب ويبشون مواضعها وقد بصفونها ... » .